د. عائض القرني

أبيات سارت بها الركبان



مكتبة العبيكان

د. عائض القرني

أبيات سارت بها الركبان

ⓗ مكتبة العبيكان، ١٤٢٣هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

القرني، عايض بن عبدالله

أبيات سارت بها الركبان. – الرياض.

٥٦ص، ١٤ X ٢١ سم

ردمك: ٣-١٨٦-٤٠-٩٩٦٠

١– الشعر العربي – نقد أ– العنوان

ديوي ٨١١,٠٠٩ ٢٣/ ٣٠٣٨

ردمك: ٣-١٨٦-٤٠-٩٩٦٠ رقم الإيداع: ٢٣/ ٣٠٣٨

الطبعة الأولى

١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م

الناشر

مكتبة العبيكان

الرياض ـ العليا ـ تقاطع طريق الملك فهد مع العروبة.

ص.ب: ٦٢٨٠٧ الرياض ١١٥٩٥

هاتف: ٤٦٥٤٤٢٤، فاكس: ٤٦٥٠١٢٩

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد:

فهذه أبيات جرت بها الألسنة، وتشنفت بها الآذان، وصارت كالأمثال شهرةً، وكالنجوم ظهوراً، أحببت أن أجمعها لتكون للمتأمل متعة، وللمعتزل أنساً، وللعاقل عبرة، ففيها الحكمة الشاردة، والتجربة الواعية، والرأي السديد، وهي خيار من خيار، فقد تمر بي مئات الأبيات فلا أعجب ببيت واحد، وقد أقلب ديوان الشاعر كله فأخرج ببيت واحد يتيم؛ لأن الإبداع عزيز نادر في نتاج البشر؛ ولهذا قلَّ الرواد، وشح الزمان من المبدعين، ومع قصر العمر وكثرة المشاغل كان من الأحسن اختيار الأفضل واطراح المفضول، فخذ من العين نونها، ومن القلب سويداءه. ومع الأبيات الذائعة الشائعة.

عائض القرني

أبيات سارت بها الركبان

إن كـان عندك يا زمـان بقـيـة

مما يُهـان بهـا الكرامُ فـهـاتِهـا

لـهـا عـينٌ أصـابتْ كـلَّ عـينٍ

وعينٌ قـد أصـابتـهـا العـيونُ

ألا إن عـينًا لم تَجُـد يوم واسطٍ

عليك بغـالي دمـعـهـا لجَـمُـودُ

أعـزُّ مكانٍ في الدنا سـرجُ سـابحٍ

وخـيـرُ جليسٍ في الزمـان كـتـابُ

كـذا قـضت الأيامُ مـا بين أهلهـا
مـصـائبُ قـومٍ عند قـومٍ فـوائدُ

أقِلُّوا عليـهم لا أباً لأبيكم من اللومِ
أو سُـدُّوا المكان الذي سَـدُّوا

أضـاعـوني وأي فـتىً أضـاعـوا
ليـوم كـريهـةٍ وسـدادِ ثَغْـرِ

هنيـئـًا مـريئـًا غيـرَ داءٍ مـخـامـرٍ
لعـزةَ من أعـراضنا مـا اسـتـحلَّتِ!

سـقط النصـيفُ ولم تُرِد إسـقـاطَه
فـتـناولتْـه واتقـتْـنا باليـدِ!

ومَنْ كَـمُلت فــيــه النهى لا يســرُّه

نـعـــيـمٌ ولا يـرتاع لـلـحَـــدَثانِ

خــذا من صَـبَـا نجـدٍ أمــانًا لقلبـه

فـــقـــد كــاد ريَّاها يطـيـــرُ بلبِّـــه!

عـيـونُ المهـا بـين الرُّصـافـةِ والجسـرِ

جَلَبْن الهوى من حيث أدري ولا أدري!

يقـــولـون لـو سلَّيتَ قلبَك لارعـــوى

فـــقلتُ وهـل للعـــاشـــقينَ قلوبُ؟!

يا قــومُ أذني لبـعـض الحيِّ عـاشــقـةٌ

والأذنُ تعــشقُ قــبـل العين أحــيــانا!

يكون أُجــاجــاً دونكم فــإذا انتــهى
إليكم تلقّى طيـــبَكم فـــيطيبُ

وإنمـا المـرءُ حــــديثٌ بعـــــده
فكن حـــديثـــاً حـــسناً لمن وعى

إن ربّاً كـــفـــاكَ مـــا كـــان بالأمسِ
ســـيكفـــيك في غدٍ مـــا يكونُ

دقـــــاتُ قلبِ المرء قـــــائلة له :
إن الحـــــيـاةَ دقـــــائقٌ وثواني!

إن العـــيـونَ التي في طرفـهـا حَـوَرٌ
قـــتلْنَنا ثم لم يُحـــيينَ قـــتلانا!

ستُبدي لك الأيامُ ما كنتَ جاهلاً
ويأتيك بالأخبارِ مَنْ لم تُزَوِّدِ

الا كلُّ شيءٍ ما خلا اللهَ باطلُ
وكل نعيمٍ لا محالةَ زائلُ

لعمرك ما يُغني الثراءُ عن الفتى
إذا حشرجتْ يوماً وضاق بها الصَّدْرُ

وإذا لثمتُ يمينَه وخرجْتُ من
أبوابِه لَثَم الملوكُ يميني!

تفوحُ أطيابُ نجدٍ من ثيابهم
عند القدوم لقرب العهدِ بالدار!

تمتعْ من شميمِ عَرارِ نجدٍ
فما بعد العشيةِ من عَرارِ

أعِدْ ذكر نعمانٍ لنا إن ذكرتَه
كما المسك ما كررتَه يتضوَّعُ !

كأن قطاةً عُلِّقت بجناحِها
على كبدي من شدةِ الخَفَقَانِ!

بكت عينيَ اليمنى فلما زجرتُها
عن الجهلِ بعد الحِلْمِ أسبلتا معا!

تراه إذا ما جئتَه متهلِّلاً
كأنك تعطيهِ الذي أنت سائلُه!

إذا سـاء فـعلُ المرءِ سـاءتْ ظنونُه
وصـدَّقَ مـا يعـتـادُه مـن تَـوَهُّمِ

ومـن نَكَدِ الدنيـا على الحُـرِّ أن يرى
عـدواً لـه ما من صـداقـتـِه بدُّ!

مَنْ يَهُنْ يسـهلِ الهـوانُ عليـه
مـا لـجـرحٍ بميِّـتٍ إيـلامُ

لا خـيلَ عندك تُهـديها ولا مـالُ
فليُسعِدِ النطقُ إن لم تُسْعِدِ الحالُ!

وإذا كـانت النفـوسُ كـبـاراً
تعـبتْ في مـرادها الأجـسامُ!

لولا المشقةُ سادَ الناسُ كلُّهمُ
الجودُ يُفْقِرُ والإقدامُ قتّالُ!

إنا لفي زمنٍ تركُ القبيحِ به
من أكثرِ الناسِ إحسانٌ وإجْمالُ

فإن تَفُقِ الأنامَ وأنت منهم
فإنَّ المسكَ بعضُ دمِ الغزالِ

قد يهونُ العمرُ إلا ساعةً
وتضيقُ الأرضُ إلا موضِعا!

هو الجد حتى تفضُلَ العينُ أختَها
وحتى يكون اليومُ لليومِ سيدا

فـــإنك شــــمسٌ والملوكُ كـــواكبٌ
إذا طلعتْ لم يَبْـــدُ منهنَّ كـــوكبُ

خلقتُ أَلَوفـاً لو رجـعتُ إلى الصِّبـا
لفـارقتُ شـيبي مـوجعَ القلبِ باكيـا !

وليس على الأعــقــابِ تدمى كلومُنا
ولكنْ على أقـــدامِنا تقطرُ الدمـــا

مــــا كلُّ مــــا يتــمنى المرءُ يدركـــه
تجـري الـرياحُ بما لا تشـتـهي السـفنُ

وبشَّــرتُ آمــالي بشـــخصٍ هو الورى
ودارٍ هـي الـدنيـــــا ، ويومٍ هو الـدهرُ

إذا اشـــتـــبكتْ دمـــوعٌ في خـــدودٍ
تـبـيَّـن مَـنْ بـكـى ممن تَـبَـاكـى!

ولستَ بمســتــبْقٍ أخـاً لا تَلُمُّـه
على شَـعَثٍ، أيُّ الرجـال المهـذَّبُ ؟!

وكــيف تُعِلُّك الدنيــا بشيءٍ
وأنت لعِلَّةِ الدنيـا طبـيـبُ ؟!

المجـدُ عـوفي إذ عـوفـيتَ والكرمُ
وزال عنك إلى أعـــدائك الألَمُ!

لا يدرك المجـدَ إلا سـيـدٌ فَطِنٌ
بما يشق على الســادات فـعَّــالُ

وإذا لـــم يـــكـــنْ مـــن المـــوتِ بـــدٌّ
فـمـن الـعــجــزِ أن تموتَ جَــبَــانا !

وإن لم تمت تحت الســيـوف مكرَّمــاً
تمتْ وتعــاني الذلَّ غـــيـــرَ مكرَّمِ !

ولا عـيبَ فـيـهـم غـيـرَ أنَّ سـيـوفـهـم
بهنَّ فلولٌ مـن قِـــراع الكتـــائبِ

نَسَبٌ كـان عليه من شمسِ الضحى
أَلَقــاً ومن ضــوء الصــبــاح عـمـودا

كـــأنهم يَرِدون الموتَ من ظَمَـــأٍ
أو يَنْشُــقُــون من الخِطِّي رَيْعــانا !

يستعذبون مناياهم كأنهم
لا يخرجون من الدنيا إذا قُتِلوا !

لو كان يقعُدُ فوق الشمسِ من كرمٍ
قومٌ بآبائهم أو مجدهم قعدوا!

بهاليلُ في الإسلام سادوا ولم يكنْ
لأولهم في الجاهليةِ أولُ!

دارٌ متى ما أضحكتْ في يومها
أبكت غداً قُبْحاً لها من دارِ !

السيفُ أصدقُ أنباءً من الكتبِ
في حدِّه الحدُّ بين الجِدِّ واللعبِ!

علوٌّ في الحـــيـــاةِ وفي المــمـــاتِ
لحقٌّ أنت إحـــدى المعـــجـــزاتِ!

كـذا فليـجلَّ الخطبُ وليـفـدحِ الأمـرُ
فليس لعينٍ لم يفِضْ مــاؤها عـُـذْرُ

أعـــينايَ كُـــفَّـــا عن فـــؤادي فـــإنه
من الظُّلم سعيُ اثنين في قَتْل واحدِ!

إن كـان سـرَّكُمُ مـا قـال حـاسـدُنا
فـما لـجـرحٍ إذا أرضـاكُمُ أَلَمُ!

ويقـبـح من سـواك الفـعلُ عندي
وتفـعلُه فـيـحـسُنُ منك ذاكـا !

أتى الزمانَ بنوه في شبيبته
فسرَّهُمْ وأتيناه على هَرَمِ

طُبِعَتْ على كَدَرٍ وأنت تريدُها
صفواً من الأقذاءِ والأكدار !

أحرامٌ على بلابله الدوحُ
حلالٌ للطيرِ من كلِّ جنسِ ؟ !

وأبيضُ يُسْتسقى الغَمَامُ بوجهِهِ
ثمالُ اليتامى عصمةٌ للأراملِ

ما في الخيام أخو وجدٍ نطارحُه
حديثَ نجدٍ ولا خِلٌّ نُجاريهِ

أضــاءتْ لهم أخـلاقـهم ووجـوهُهم
دجى الليلِ حـتى نظَّمَ الجـزعَ ثاقبُـه

أمــرتُهُم أمــري بمنعَــرجِ اللِّوى
فلم يستبينوا النصحَ إلا ضحى الغَدِ

كـفى بك داءً أن ترى الموتَ شـافـيـا
وحـسْبُ المنايـا أن يكـنَّ أمـانيـا

ثـمـنُ المجــدِ دمٌ جُـدْنـا بـه
فـاسألوا كـيف دفـعنا الثـمنا !

والمسـتـجـيرُ بعـمرٍو عند كـربتـه
كـالمسـتـجـيرِ من الرمـضاءِ بالنارِ!

كـأن عـينيك يومَ الجـزْعِ تخـبـرنا
عن المحـبـين مـن أسـمـاءِ قَـتْلاك!

كأن لم يكن بين الحُجُون إلى الصفـا
أنيسٌ ولـم يسـمـرْ بمكةَ سـامـرُ

أمِن تـذكُّـرِ جـيـرانٍ بذي سَلَمِ
مـزجتَ دمـعًا جـرى من مـقلةٍ بدمِ؟!

لا تـعـذلِ المشـتـاقَ في أشـواقِـه
حـتى يكون حـشـاكَ في أحـشـائهِ

أخـي جـاوز الـظـالمون المـدى
فـحُـقَّ الـجـهـادُ وحُـقَّ الفِـدا

لهـا أحـاديثُ من ذكـراكَ تَشْـغَلُهـا
عن الطعـام وتُلْهِـيـهـا عن الزادِ

سأبكيك ما فاضتْ دموعي فإن تَغِضْ
فحسبُك مني ما تُكِنُّ الجوارحُ

ثوى طاهرُ الأردانِ لم تبقَ بقعةٌ
غداةَ ثوى إلا اشتهتْ أنها قَبْرُ !

ألا أيها الركبُ اليمانونَ عرِّجُوا
علينا فقد أضحى هوَانا يمانيا !

أُحبُّك لا تفسير عندي لصبوتي
أفسِّرُ ماذا والهوى لا يفسَّرُ!

يا ليتَها إذ فَدَتْ عمراً بخارجةٍ
فدتْ علياً بمن شاءتْ من البَشَرِ !

والناسُ مَنْ يلقَ خيراً قائلون له
ما يشتهي، ولأمِّ المخطئ الهَبَلُ !

قد يُدرك المتأني بعضَ حاجتِه
وقد يكونُ مع المستعجلِ الزلَلُ

لا تغترِرْ ببني الزمانِ ولا تَقُلْ
عند الشدائدِ لي أخٌ وحَميمُ

والناس أعوانُ من دالتْه دولته
وهمْ عليه إذا عادتْه أعوانُ

أولئك آبائي فجئني بمثلهم
إذا جمعتْنا يا جريرُ المجامعُ

ولا بدَّ من شكوى إلى ذي مروءةٍ
يواسيكَ أو يسليكَ أو يتوجَّعُ

تعوَّدَ بسْطَ الكفِّ حتى لو انه
أراد انقباضاً لم تُطِعْه أناملُه

حلفتُ فلم أتركْ لنفسِك ريبةً
وليس وراء الله للمرءِ مَذْهبُ

وتضحك مني شيخةٌ عبشميَّةٌ
كأن لم ترى قبلي أسيراً يمانيا

يُقْضى على المرءِ في أيام محنته

حتى يرى حَسَناً ما ليس بالحَسَنِ

إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا

مَنْ كان يألفُهم في الموطنِ الخَشِنِ

اعذرْ حسودَك فيما قد خُصِصْتَ به

إن العُلا حَسَنٌ في مثلها الحَسَدُ!

إذا كان هذا الدمعُ يجري صبابةً

على غير سُعْدى فهو دمعٌ مضيَّعُ!

وما شَرَقي بالماء إلا تذكراً

لماءٍ به أهلُ الحبيبِ نزولُ!

فـبـتُّ كـأني سـاورتْني ضـئيلةٌ
من الرقْشِ في أنيابِها السمُّ ناقِعُ

وصـدرٍ أراح الليل عـازب همُّه
تضاعفَ فيه الحزنُ من كلِّ جانبِ

وإذا المنيـةُ أنشـبتْ أظفارَها
ألفـيتَ كلَّ تميمـةٍ لا تنفعُ!

هم يحسدوني على موتي فوا أسَفا
حتى على الموتِ لا أخلو من الحَسَدِ!

عوى الذئبُ فاستأنَسْتُ بالذئبِ إذ عوى
وصـوَّت إنسـانٌ فكدْتُ أطيـرُ!

قد كنتُ أُشْفِقُ من دمعي على بَصَري
فــاليــوم كلُّ عــزيزٍ بعــدكم هانا

إني وإنْ لمتُ حـاسِـديَّ فـما
أُنكِرُ أني عـقـوبةٌ لَهُمُ !

ومن العـداوةِ ما ينالُك نفـعُـه
ومن الصـداقـةِ مـا يضـرُّ ويؤلِمُ !

فـمـا أطالَ النومُ عـمـراً ومـا
قـصَّـرَ في الأعـمـارِ طولُ السَّـهَـرْ

وأنا الذي جلب المنيــةَ طرفُـه
فـمَنِ المطالبُ والقـتيلُ القـاتلُ ؟!

وتجلُّدي للشامتين أُريهمُ
أني لريبِ الدَّهْرِ لا أتضعضعُ

فصِرْتُ إذا أصابتْني سهامٌ
تكسَّرَتِ النصالُ على النِّصالِ

جودُ الرجالِ من الأيدي وجودُهم
من اللسانِ فلا كانوا ولا الجُودُا

جزى اللهُ المسيرَ إليك خيراً
وإن تَرَكَ المطايا كالمزادِا

كلُّ المواردِ غيرَ النيل آسنةٌ
وكلُّ أرضٍ سوى البلقاءِ فيحاءُ

يا من يعـز علينا أن نفارقهم

وجداننا كل شيء بعدكم عَدَمُ !

ومـا نُيْلُ المطالب بالتمني

ولكن تؤخذ الدنيا غلابا

تلك المكارمُ لا قعبان من لبنٍ

شيبا بماءٍ فعادا بعد أبوالا

هم القومُ إن قالوا أصابوا، وإن دُعوا

أجابوا، وإن أَعطوا أطابوا وأجزَلُوا

يا قرةَ العينِ سلْ عيني هل اكتحلتْ

بمنظرٍ حَسَنٍ مذ غبتَ عن عيني ؟!

ولي كـبِـدٌ مـقـروحـة من يبـيـعني
بهـا كـبـداً ليـستْ بذاتِ قُـروحِ؟!

إذا همَّ ألقى بين عـينيـه همَّـه
وأعـرضَ عن ذكـرِ العـواقبِ جـانبـا

سلِ الرمـاحَ العـوالي عن مـعـالينا
واستشهدِ البيضَ هل خابَ الرجا فينا؟

مـا أقـبحَ الصَّـبْـرَ الجـمـيلَ
بعـاشـقـيكَ وأجـملَكْ!

ولما ادعـيتُ الحبَّ قـالت كـذبْتَني
ألستُ أرى الأعـضاءَ منكَ كواسيا؟!

وردْنا على مـاءِ العـشـيـرةِ والهـوى
على مَلَلٍ، يا لهفَ نفـسي على مَلَلْ!

الا يا حـمـامَ الأيكِ إلفُكَ حـاضـرٌ
وغـصنُك مـيَّـادٌ فـفـيـم تَنُوحُ؟!

فـقـد هدَّ قـدمـاً عرشَ بلقيس هدهدٌ
وخـرَّبَ فـأرٌ عنوةً سـدَّ مـأربِ

يا عـابدَ الحـرمينِ لو أبصـرْتَنا
لعـلمتَ أنكَ بـالعـبـادةِ تلعبُ

ألا لا أرى الأحـداثَ مـدحـاً ولا ذمـاً
فـما بطشُها جهلاً ولا كَفُّها حِلْما

تفتُّ فؤادك الأيامُ فتَّا

وتنحِتُ جسمَك الساعاتُ نحتا

اتيأس أن ترى فَرجَاً

فأين اللهُ والقَدَرُ؟!

وما كُل دارٍ اقفرتْ دار عزةٍ

ولا كلُّ مصقولِ الترائبِ زينبُ !

لكلٍّ شيءٍ إذا ما تمَّ نقصانُ

فلا يغر بطيبِ العيشِ إنسانُ

جرتِ الرياحُ على محلٍّ ديارِهم

فكأنهم كانُوا على ميعادِ

ومــشــتــت العــزمــاتِ ينفقُ عــمــرَه

حــيـــرانَ لا ظَفَــرٌ ولا إخْــفَــاقُ

لشــتــانَ مــا بــين اليــزيدين في الندى

يــزيدِ بــنِ عــمـــرو والأغــرِّ بــنِ حــاتمِ

ومـــا كنت أدري قــبل عــزّة مــا البكا

ولا مـــوجــعــات القلب حــتى تولَّتِ!

مــتى تأتِه تعــشــو إلى ضــوء ناره

تجــدْ خــيــرَ نارٍ عندها خــيــرُ مــوقــدِ

إذا مـــا خلوتَ الدهرَ يومـــاً فـــلا تقلْ

خــلوتُ ولــكــنْ قُــلْ عــلــيَّ رقـــــيــبُ!

وإذا أراد الله نشـــرَ فـــضـــيلةٍ
طُوِيَتْ أتاح لهــا لســان حــســودِ

دعِ المقـــاديرَ تجـــري في أعنَّتِـــهـــا
ولا تبـــيـــتَنَّ إلا خـــاليَ البـــالي

على قـــدرِ أهل العـــزم تأتي العـــزائمُ
وتأتي على قـــــدرِ الكرامِ المكارمُ

ومـــا حبُّ الديار شـــغـــفنَ قلبي
ولـكـنْ حـبُّ مـن سَـكَـن الـديـارا!

هذا الذي تعــرفُ البطحــاءُ وطأتَه
والبـــيتُ يعـــرفُـــه والحِلُّ والحَـــرَمُ

لمعت نارُهم وقــد عَــسْــعَسَ الليلُ
ومـلَّ الحـــــادي وحـــــار الـدليـلُ

ولو لَمْ يكن في كـفِّــه غــيـرُ روحِـه
لجــاد بهـــا فليـــتقِ اللهَ ســـائلُهْ!

اذكـــــرونا مـــــثلَ ذكـــــرانا لـكم
رُبَّ ذكـــــرى قـــــربتْ مَنْ نَـزَحـــــا

واعلم بأن عليك العـــارَ تلبَـــسُـــه
من عضَّـةِ الكلبِ لا من عضَّـةِ الأسَدِ!

أنا ابـنُ جـــــلا وطلاع الـثـنـايا
مـتى أضع الـعـمـامـةَ تعـرفـوني

ليس الحجابُ بمقص عنك لي أملاً
إن السماء تُرجَّى حين تحتجبُ

قد هيَّؤوك لأمرٍ لو فطنتَ له
فاربأ بنفسِكَ أن ترعى مع الهَمَلِ

لو كنتُ من مازنٍ لم تستبحْ إبلي
بنو اللقيطة من ذهلِ بنِ شيبانا

من راقبَ الناسَ ماتَ همّاً
وفازَ باللذةِ الجَسُورُ

وفي كلِّ شيءٍ له آيةٌ
تدل على أنه واحدُ

فـفـي الـسـمـاءِ نجـومٌ لا عـدادَ لهـا
وليس يكسفُ إلا الـشـمسُ والقـمـرُ

والحـادثاتُ وإن أصـابَك بؤسُـهـا
فـهـو الذي أنبـاكَ كـيف نعـيـمُـهـا

ذكـرُ الفـتى عـمـرُه الـثـاني، وحـاجـتُـه
مـا قـاتَه، وفـضـولُ الـعـيشِ أشْـغَـالُ

فـإن كنتَ لا تـسـطيع دفـعَ منيَّـتي
فـدعني أبـادرْهـا بمـا مـلـكـتْ يـدي

إذا أنت أكـرمتَ الـكـريمَ مَـلكـتَـه
وإن أنـت أكـرمـتَ اللـئـيمَ تمـرَّدا

إذا غـــامـــرتَ في شَـــرَفٍ مـــرومِ
فـــلا تقنعْ بما دون النجـــومِ

يا ظبيةَ البانِ ترعى في خمائِله
ليهْنِكِ اليومَ أنَّ القلبَ مرعاكِ!

وفي الأرضِ منأى للكريم عن الأذى
وفيها لمن خافَ القِلى مُتَعزَّلُ

وكلُّ شـــديدةٍ نزلتْ بقـــومِ
ســيأتي بعد شـدَّتها رخاءُ

ومن هابَ أســبابَ المنايا ينلْنَه
وإن يرقَ أسبابَ السماءِ بسلَّمِ

أرى الموتَ يعتامُ الكرامَ ويصطفي

عقيلةَ مالِ الفاحشِ المتشدِّدِ

تعدو الذئابُ على مَنْ لا كلابَ له

وتتقي مربضَ المستنفرِ الحامي

ابدأ بنفسكَ فانهها عن غيِّها

فإذا انتهتْ عنه فأنتَ حكيمُ

تعيِّرُنا أنَّا قليلٌ عديدُنا

فقلتُ لها: إن الكرامَ قليلُ

وظلمُ ذوي القربى أشدُّ مضاضةً

على المرء من وقعِ الحسامِ المهنَّدِ

بغـــاثُ الطيـــرِ أكــثــرها فـــراخــاً
وأُمُّ الصـــــقـــــرِ مــــقـــــلاةٌ نزورُ

إن الغـصـونَ إذا قـومـتَـهـا اعـتـدلتْ
ولـن تلينَ إذا قـــومـــتَـــهــا الخَـــشَبُ

والنفسُ راغــبـــةٌ إذا رغــبـــتَـــهــا
وإذا تُـــردُّ إلـــى قـــلـــيـــلٍ تــقـــنـــعُ

ومَنْ يجـعلِ المعـروفَ في غـيـرِ أهله
يكنْ حـــمـــدُه ذمّـــاً عليـــه ويندمِ

إذا لم تســتطعْ شــيــئــاً فــدعْــه
وجـــاوزْه إلى مـــا تســـتطيعُ

عن المرء لا تسـألْ وسلْ عن قـرينه
فكلُّ قـرينٍ بالمقـارنِ يقـتـدي

من لم يمتْ عـبطة يمتْ هرمـاً
للمـوتِ كـأسٌ والمرءُ ذائقـهـا

أخلقْ بذي الصبر أن يحظى بحاجته
ومـدمنِ القـرع للأبواب أن يلجـا

يعـيشُ المرءُ مـا اسـتحـيا بخـيرٍ
ويبـقى العـودُ مـا بقي اللحـاءُ

نـروحُ ونغـدو لحـاجـاتنا
وحـاجـةُ من عـاش لا تنقـضي

ولم أرَ كالمعروفِ، أما مذاقُه
فحلوٌ، وأما وجهه فجميلُ

إذا كنتَ في حاجةٍ مرسلاً
فأرسل حكيماً ولا توصِه

ومهما تكنْ عند امرئٍ من خليقةٍ
وإن خالها تخفى على الناس تُعلمِ

إذا لم يكنْ إلا الأسنةَ مركبٌ
فما حيلةُ المضطرِّ إلا ركوبُها

تعلَّمْ فليسَ المرءُ يولدُ عالماً
وليس أخو علم كمن هو جاهلُ

إذا كنتَ في كلِّ الأمــور مــعــاتبــاً
صــديقَك لم تلقَ الذي لا تعــاتبُــهْ

إذا امــتــحن الدنيــا لبــيبٌ تكشّــفتْ
له عن عــدوٍّ في ثيــاب صــديقِ !

واعــلــمْ بــأن مــن الــســكوتِ إبــانــةً
ومن التكلمِ مــا يكون خــبــالا

الصــمتُ أجــمــلُ بــالفــتى
من منطقٍ في غــيــر حِــينِه

يصــابُ الفــتى من عــثــرةٍ بلســانه
وليس يصابُ المرءُ من عــثــرةِ الرِّجْلِ

لســـانُ الفــتى نصفٌ ونصفٌ فـؤادُه
فلـم يبقَ إلا صـــــورةُ اللحـم والدمِ

إذا ضـاقَ صـدرُ المرء عن سـرِّ نفسـه
فـصـدرُ الذي يُسْتَـوْدَعُ السـرَّ أضـيقُ

جـراحـاتُ الطعـانِ لهـا التِـئـامٌ
ولا يلتــــامُ مـــا جـــرح اللســـانُ

وإنَّ امـرءاً قـد سـارَ سـبـعين حـجـةً
إلى مـنهـلٍ مـن وِردِه لـقـــــريـبُ

أحسِنْ إلى الناس تستْعبدْ قلوبَهم
فطالما استعـبـد الإنسانَ إحسانُ

بقـدرِ الجـدّ تُكتسبُ المعالي
ومن رامَ العلا سهر الليالي

تقفون والفلكُ المسخَّرُ دائرٌ
وتقدّرون وتضحكُ الأقدارُ

أعلّلُ النفسَ بالآمال أرقبها
ما أضيق العيش لولا فسحةُ الأملِ

غبْ وزرْ غباً تزدْ حباً فمَنْ
أكثر الترداد أقصاه الملَلْ

لعمرُك ما تدري الضواربُ بالحصى
ولا زاجراتُ الطير ما الله صانعُ

ومَنْ ينفقِ الساعات في جمع ماله
مخافةَ فقرٍ فالذي فَعَل الفقرُ!

ومَنْ يك ذا فمٍ مرٍّ مريضٍ
يجدْ مرّاً به الماءَ الزلالا

ولبسُ عباءةٍ وتقرَّ عيني
أحبُّ إليَّ من لبس الشفوفِ

ذهبَ الشبابُ فما له من عودةٍ
وأتى المشيبُ فأين منه المهربُ؟!

إذا غضبتْ عليكَ بنو تميمٍ
حسبت الناسَ كلَّهم غضابا!

ذهبَ الذين يُعاشُ في أكنافهم
وبقيتُ في خلقٍ كجلد الأجربِ

لولا الحياءُ لعادني استعبارُ
ولزرت قبرك والحبيبُ يُزارُ

وكانتْ في حياتِك لي عِظاتٌ
فأنت اليومَ أوعظُ منك حيًّا

تعبٌ كلُّها الحياةُ فما أعـ
ـجبُ إلا من راغبٍ في ازديادِ

دعِ المكارمَ لا ترحلْ لبغيتِها
واقعدْ فإنكَ أنت الطاعمُ الكاسي

قُـــبـــيِّلةٌ لا يغــــدرونَ بـذمــــةِ
ولا يـظلمــونَ الناسَ حــبــةَ خــردلِ

ضــدان لما اســتــجــمــعــا حَــسُنا
والـضـــدُّ يُظهِـــرُ حـــسنَه الـضـــدُّ

إذا اعــتـــادَ الفـــتى خـــوضَ المنايا
فـــأهونُ مـــا يمر به الـوحــــولُ

فطعمُ الموتِ في أمـــرٍ حـــقـــيـــرٍ
كطعمِ الموتِ فـي أمــــــرٍ عـظيمِ

وحبُّ الجــبـان النفسَ أورده التــقى
وحب الشـجـاعِ النفس أورده الحــربا

فغضَّ الطرفَ إنكَ من نميرٍ
فلا كعباً بلغتَ ولا كلابا

من يفعلِ الخيرَ لم يُعدم جوازيه
لا يذهب العرفُ بين الله والناسِ

إذا أنتَ لم تشربْ مراراً على القذى
ظمئت وأيُّ الناس تصفو مشاربُه؟!

مكرٍّ مِفرٍ مقبلٍ مدبرٍ معاً
كجلمودِ صخرٍ حطَّه السيلُ من علِ

نصحتُك فالتمسْ يا ليثُ غيري
طعاماً إن لحمي كان مرًّا!

أتاكَ الربيعُ الطلقُ يختالُ ضاحكاً
من الحسنِ حتى كادَ أن يتكلما

ليلتي هذه عروسٌ من الزنجِ
عليها قلائدٌ من جُمانِ

يا جارةَ الوادي طربتُ وعادني
ما يُشبه الأحلامَ من ذكراكِ

هلاّ سألتِ الخيلَ يا ابنةَ مالكٍ
إن كنتِ جاهلةً بما لم تعلمي

وإنما أولادُنا بيننا
أكبادُنا تمشي على الأرضِ

أنا الذي نظرَ الأعمى إلى أدبي
وأسمعتْ كلماتي مَنْ به صممُ

وإني وإن كنت الأخيرَ زمانه
لآتٍ بما لم تستطعه الأوائلُ

إذا المرءُ لم يدنسْ من اللؤمِ عرضُه
فكلُّ رداءٍ يرتديه جميلُ

تسيلُ على حدِّ الظباتِ نفوسُنا
وليستْ على غيرِ الظباتِ تسيلُ

الا لا يجهلنْ أحدٌ علينا
فنجهلَ فوق جهلِ الجاهلينا

إنا لمن معشرٍ أفنى أوائلَهم
قيلُ الكماةِ: ألا أين المحامونا؟!

ومـا للمرءِ خيرٌ في حياةٍ
إذا ما عُدَّ من سَقَطِ المتاعِ

أحلامُنا تزنُ الجبالَ رزانةً
وتخالُنا جنّاً إذا ما نجهلُ

كأنَّ مثارَ النقعِ فوق رؤوسِنا
وأسيافنا ليلٌ تهاوى كواكبُهْ

وفيهم مقاماتٌ حسانٌ وجوهُها
وأنديةٌ ينتابُها القولُ والفعلُ

الخـيلُ والليلُ والبـيـداءُ تعـرفني
والسـيفُ والرمحُ والقـرطاسُ والقلمُ

محـسَّـدونَ على مـا كـانَ من نعمٍ
لا ينزعُ اللهُ منهم مـا لَه حُـسِـدوا

أغـرُّ أبلجُ يُسـتسـقى الغـمـامُ به
لو صارعَ الناسَ عن أحلامِهم صرعا

هيْنون لينونَ أيسـارٌ ذوو كـرمٍ
سـوّاسُ مكرمـةٍ أبناءُ أيسـارِ

الذكـرُ حـاجـتي أمْ قـد كـفـاني
حـيـاؤك إن شـيـمـتَك الحـيـاءُ

قـــومٌ هـم الأنفُ والأذنـابُ غـــيـــرهـم
ومـن يســـوّي بـأنف الـنـاقـــة الـذنبـــا

ونـشــــــربُ إن وردْنـا المـاءَ صــــفـــــواً
ويـشــــربُ غـــيــــرُنـا كــــدراً وطـيـنـا

إنـا لـقـــــومٌ أبـت أخـــــلاقُنـا شـــرفـــاً
أن نـبــتــــدي بـالأذى مـن لـيـس يـؤذيـنـا

قـــومٌ إذا الـشــــرُّ أبـدى نـاجـــذيْـه لـهـم
طـاروا إلـيـــــه زرافــــاتٍ ووحـــــدانـا

بـانـتْ سـعـــادُ فـقـلـبـي الـيـومَ مـتـبـولُ
مـــتـــيـمٌ إثـرهـا لـم يُـفـــد مـكـبـــولُ

من تلقَ منهم تقلْ لاقيت سيدَهم

مثلُ النجومِ التي يسري بها الساري

بيضُ الوجوهِ نقيةٌ حجزاتُهم

شُمُّ الأنوفِ من الطراز الأولِ

سأشكرُ عمراً إن تراختْ منيّتي

أياديَ لم تُمنَنْ وإنْ هي جَلَّتِ

لا يسألونَ أخاهم حين يندبُهم

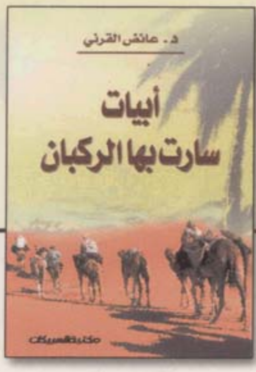
في النائباتِ على ما قال برهانا

هو البحرُ من أي النواحي أتيتَه

فلجَّتُه المعروفُ والجودُ ساحلُه

ولدَ الهدى فالكائناتُ ضياءُ

وفمُ الزمانِ تبسمٌ وثناءُ



إن أعذب الشعر هو ما رددته الألسنة، وشنفت به الآذان، واستحضرته الأفئدة.

وكتابنا هذا جمع أبياتاً من الشعر سارت بها الركبان، فهي كالأمثال شهرة، وكالنجوم بهاءً وظهوراً، نضعها بين أيدي قرائنا الكرام لتكون للمتأمل متعة، وللوحيد سلوةً، ولأولي الألباب عبرة.

إنها باقة جميلة لحكمة شاردة، وتجربة واعية، ورأي سديد. وقد أبدع المؤلف في انتقائها بما له من شاعرية مرهفة، وعقل أديب، ونفس ذواقة للجميل من كل شيء.

ومكتبة العبيكان يسعدها نشر هذا الكتاب الفريد في بابه لتتحف به العقول وتغذي به الأرواح.